عفواً أيها الليبراليون .. كلام في المواطنة

الأربعاء 3 أكتوبر 2012 12:10 م

محمد إبراهيم الجوهري

الحمد لله الرحمن الرحيم مالك الملك ذو الجلال والإكرام ، مؤتي الملك ونازعه ، قاصم الجبابرة ، وهازم القياصرة ، والصـــلاة والسلام علي حبيبنا وأسوتنا وزعيمنا ومعلمنا محـمـد صلي الله عليه وسلم ، علت أصوات الليبراليين فـي مرحلة ما بعد ثورة **25** مـــن يناير في مفهوم المواطنة ، وللعجب أن يريدوا إيهام البسطاء مـن الناس بألفاظ هم يريدون إقتطاع جزءاً مـــن معناها لأغراضٍ خفيت في أنفسهم ، وحاولوا الغرر بالبسطاء مـن الناس أن المواطنة مفهوم ليس فـــي الإسلام ، بل إن الليبراليين هم وحدهم من ينادون بهذا المفهوم ، وإليك أخـي القارئ تبسيطاً لهذا المفهوم .

مفهوم المواطنة: هي المفاعلة أي تفاعل - بين الإنسان المواطـن والوطن الـذي ينتمي إليـه ويعيش فيه, وهي علاقة تفاعل ؛ لأنها تنشئ بين الطرفين العديد مـن الحقوق والواجبات ، فهـــي أن يكون الإنسان عضو في الدولة التي يعيش فيها له علاقة قانونية ، إقتصادية ، إجتماعية بها ، وله حقوق كالحق في المشاركة ، والحق في العقيدة ، والحق في الجمال ، والحق في البيئة

وأطلق مفهوم المواطـن أطلق للتمييز بين المواطـن الأصيل والأجنبي

(المواطنة بين الوطن والمواطن)

حقوق الوطن (علـي المواطن إحترام هويته ويؤمنُ بها وينتمي إليها ويدافع عنها بكل مـا فـي عناصر هذه الهويَّـة مـن ثوابت اللغة والتاريخ والقِيَم والآداب العامَّة, والأرض التي تمثِّل وعـاءَ الهوية والمواطنين) .
حقوق المواطن (تكافؤ الفـرص, وانتفاء التمييز فـي الحقـــوق السياسيَّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والمدنية والقانونية بسبب اللون أو الطبقـة أو الاعتقاد, مـع تحقيق التكافل الاجتماعـــي الذي يجعلُ الأمَّة جسدًا واحدًا, والشعب كياناً مترابطاً).
مثال لمفهوم المواطنة : حق المواطن إلي الجمال في العصور الحجرية ، ووجود رسومات في الكـهوف وعلي الحوائط ، علي الرغم من وجود الحيوانات المفترسة خارج الكهف وقلة توفير الغذاء إلا أنه كان فـي حاجة إلي الجمال

يقول البعض أن المواطنة نشأت من عهد الحضارات الإغريقية وحضارة اليونان ولكـن المواطنة تعود جذورها إلى ما هو أبعد من الحضارة من الحضارات الإغريقية، حيث أن مفهـــوم المواطنة يعود إلى ما هو أبعد، إلى بداية تكون الجماعات الإنسانية

-(المواطنـــة فـي الإسلام) أو المواطنـــة الكاملـــة

إذا كان التطور الحضاري الغربي لم يعرف المواطنة وحقوقها إلا بعـد الثورة الفرنسيَّة في أواخر القرن الثامـــن عشر الميلادي؛ بسبب التمييز على أساس الدين بين الكاثوليك والبروتستانت , وعلى أساس العِرْق بسبب الحروب القوميَّة, وعلى أساس الجنس بسبب التمييز ضد النساء, وعلى أساس اللون في التمييز ضد الملوَّنين؛ فإن المواطنـــة الكاملة والمساواة في الحقوق والواجبات قد اقترنتْ بظهور الإسلام, وتأسيس الدولة الإسلامية الأولى فـــي المدينة المنورة سنة واحد هجرية **(622م)** على عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم وتحت قيادتِه، ولقد وضعت الدولة الإسلاميَّة فلسفة المواطنة وقننتها في المواثيق والعهود الدستوريَّة منذ اللحظة الأولى لقيام الدولة في السنة الأولى للهجرة؛ ففي أوَّل دستور لهذه الدولة تأسَّست الأمَّة على التعدديَّة الدينية, وعلى المساواة في الحقوق والواجبات بين المواطنين المتعدِّدين في الدين والمتحدين في الأمَّة والمواطنة, فنصُّ هذا الدستور، على أن اليهود أمـــة مع المؤمنين, لليهود دينهم وللمسلمين دينهم, وأن لهم النصر والأسوة مع البر من أهل هذه الصحيفة, وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة, وأن بينهم النصح والنصيحة والبرّ دون الإثم, أليست هذه معاني المواطنة التي يتكلم عنها الفلاسفة

من العوامل التي أدت إلي تطور مفهوم المواطنة (نهاية القرن العشرين):

(1) تزايد المشكلات العرقية والدينية في أقطار كثيرة من العالم: الإبادة النازية لجماعات من اليهود، الإبادة النووية في هيروشيما، الإبادة الصربية للمسلمين، الإبادة الأمريكية للعراقيين والأفغان، الإبادة الجارية للفلسطينيين.
(2) إنتشار "العولمة والتوسع التكنولوجي والإتصالي في العالم، ومن ثم المراجعة لمفهوم الحدود الإقليمية للوطن والجماعة السياسية وسيادة الدولة القومية.
(3) نمو الإتجاهات الأصولية المسيحية والمتطرفة في عدد من بلدان العالم قد أدى إلى مراجعة مفهوم المواطنة، مما أدي إلي ظهور ما يسمي بالفردية التي تعني ظهور أفراد لهم مصالح يعملون علي تحقيقها في حدود ضيقة مما يؤدي إلي تهديد الكيان الجماعي والمجتمعي، وتراخي العمل للصالح العام لحساب الصالح الشخصي وهذا ما يسميه البعض (موت السياسة).

- مما سبق نستطيع القول بأن:
- المواطنة ليست مفهوم نفعي فقط أو سياسية فقط بل تشمل النوعين النفعي والسياسي ، الواقعي والتنويري ، فهي علاقة تفاعلية تبادلية بين طرفين الوطن والمواطن ، تنشأ عنها حقوق وواجبات.
- ليس بالصحيح أن مفهوم المواطنة قد نشأ منذ العصور القديمة بل منذ تكوين الجماعات الإنسانية.
- مفهوم المواطنة في الإسلام يعني المواطنة الكاملة وليست المتآكلة كما كانت في دساتير وقوانين وأعراف وتقاليد بعض الدول.
- نحن في حاجة لمراجعة مفهوم المواطنة في العصر الحديث طبقا للمفهوم الكامل المتواجد في دستور الإسلام (دستور صحيفة المدينة المنورة).